اليمن.. المخرج هو الشراكة لا المحاصصة

مصطفى أحمد النعمان

تغير الخط خط النسخ العربي ناهوما الكوفي العربي الأميري ثابت شهرزاد لطيف اختزلت الرسائل المتبادلة بين الرئيس عبد ربه منصور هادي وزعيم حركة (أنصار الله - الحوثيون) السيد عبد الملك الحوثي، عبر الوسطاء أولا ثم عبر الوسائل الإعلامية، حقيقة الأوضاع على الأرض، ولا بد أن الأسابيع القليلة التي تلت سيطرة (أنصار الله - الحوثيون) على مدينة عمران كانت الأقسى في فترة حكم الرئيس، وبرهنت على قصر نظر من تصوروا أن الأحداث التي دارت شمال العاصمة (الاتحادية) وسيلة لاستنزاف الجميع وأنها ستصب في خانة إضعافهم عملا بمقولة (فرق تسد). ومن السذاجة اعتقاد أن هذا الاتهام يمكن توجيهه للرئيس؛ فهو أكثر من تابع هذه السياسة خلال السنوات التي عمل فيها نائبا للرئيس السابق ويدرك كارثية نتائجها، ويجب هنا الاعتراف بأن (أنصار الله - الحوثيون) عملوا بهمة وحسن تخطيط خلال سنوات الاضطراب وناوأوا بأنفسهم عن صراعات السلطة، في حين كانت الأطراف المواقعة على المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية (التي كانت محددة بمواعيد زمنية لولا فتاوى السيد جمال بنعمر) منشغلة بالصراع على المواقع الحكومية والاقتراب من دفء الرئاسة ومباهجها والسعي لرضاها، وبلغ الأمر حد القبول بالانقلاب على مجمل ما نتج عن لقاءات الموفنبيك قبل التهيئة الجادة، مما حدا بمبعوث الأمم المتحدة السيد جمال بنعمر إلى الاعتراف أخيرا بأن حل المشكلة اليمنية لن يكون إلا يمنيا، بعد أشهر من الإصرار على الانفراد بمنح شهادات التقدير والوطنية لمن استسلموا لرغباته وشطحاته.

استطاع السيد عبد الملك الحوثي فرض نفسه ندا للدولة، ومن غير الحكمة الحديث عن تمرده وخروجه عن الإجماع الوطني، وهي بالمناسبة المفردات نفسها التي استخدمها ضده الإعلام الحزبي المناوئ له والإعلام الحكومي وضد جماعته خلال السنوات الماضية (قبل الربيع وبعده)، كما أن الإسراف في تناول مواقفه من منطلق مذهبي صرف يتناقض تماما مع كل ما دار في المنتجع. ومن المفيد التذكير بأن اللجنة الفنية التي قامت بالإعداد للقاءات الموفنبيك كانت اشترطت البدء بحل القضايا العالقة في الجنوب وفي صعدة، إلا أن اللجنة نفسها تنازلت عما صاغته ووقعت عليه؛ لأن البعض لم يرق له ذلك، واعتقد أن ذلك سيتسبب في تأخير بدء انعقاد الجلسات وفضل التعامل مع القضيتين بعيدا عن الأضواء وعبر صفقات شخصية، فوصلت البلاد إلى هذا المأزق.

كتبت الأسبوع الماضي أن السيد عبد الملك الحوثي لم يهتم كثيرا بمذكرة السفراء العشرة، بل أهملها وسخر منها وكان رده عمليا عبر حشود، تمكن من خلالها إبلاغ رسالته واضحة وإظهار قدراته ووجوده في العاصمة (الاتحادية)، وجاءت مفردات مذكرته إلى الرئيس لتظهر أنه حاليا الطرف الأقوى والأعلى صوتا والأوضح تصورا في المعادلة السياسية اليمنية، وأنهم أكثر حذقا ودهاء، وأن من أخطأوا في قراءتهم الواقع وكانوا مسكونين بوهم القوة انتزع (أنصار الله - الحوثيون) مخاليبهم. ومن غير الحصافة السخرية من (أنصار الله) بأنهم يسعون للمشاركة في السلطة كما لو كان ذلك أمرا لا يجوز التفكير فيه ومباحا للانتهازيين فقط من الوافدين الجدد إلى الحكم الذين تعلم نهافتهم على المواقع والمناصب وتشبثهم بها وإصرارهم على تركيبتها الحالية، كما أن سياسة شراء الولاءات قد تكون قادرة على تغيير المواقف والمواقع مؤقتا لدى الكثيرين شمالا وجنوبا، إلا أنها ليست مجدية عند الكثيرين أيضا، وسيكون من المفيد البحث عن وسائل أكثر نجاعة وديمومة من الأساليب البالية.

خلال الأيام التي تلت سيطرة (أنصار الله - الحوثيون) على مداخل العاصمة والتحكم فيها، ارتفعت وتيرة الاتهامات بين الأطراف وبدأت وسائل الإعلام الحزبية المختلفة، وكذا الرسمية، الحديث عن نوايا كل طرف وسبر أغواره والرجوع إلى ملفات التاريخ بكل أعبائه ومساوئه، وتبين أن كل تلك الصور التي كنا نراها والابتسامات الصفراء كانت تخفي خلفها أحقادا وشكوكا، ومعها يتحين كل طرف الفرصة السانحة إما لتثبيت موقع وإما لاقتناص موقع جديد. وكانت مضحكة تلك الصورة التي بثتها المواقع الإعلامية لآخر لجنة كلفها الرئيس هادي لقاء السيد عبد الملك الحوثي وظهر أعضاؤها يصلون خلف الأستاذ محمد قحطان (أحد قادة حزب الإصلاح - الإخوان المسلمون)، وعدها مروجوها دليل رقة القادة اليمنيين ولين قلوبهم، ولكنها كانت برهانا ساطعا على سطحية المحللين وسذاجتهم.

إن مواصلة مسيرة الحكم بالأساليب العتيقة والركون إلى تكوينات غير دستورية لن يجديا نفعا؛ لأنها لا تمثل أكثر من شخوص المشاركين فيها ولا تستطيع الاستمرار في نشاطاتها دون دعم مادي سخي، لا يمكن إلا للدولة توفيره، وفي هذا إنفاق لا طائل من ورائه، يساهم في إضعاف وإرباك بقايا المؤسسات القائمة التي تم تهميشها عمدا خلال السنوات الثلاث الماضية لتعذر التحكم في حركتها وتوجهات القائمين عليها، وليس من الذكاء الاستمرار في تشجيع وتمويل قيادات لا ترتبط بالمجتمع ولا تحمل مشروعا وغير قادرة على تقديم رؤى مستقبلية.

تتفاقم الأزمات في اليمن، وبدلا من إيجاد المخارج بعيدا عن المكابرة والإفراط في البعد الشخصي لتفسير القضايا الوطنية والاستئثار بالقرار وإطلاق العنان لكلمات الوعيد والتهديد والتفور من كل رأي لا يتفق مع المصالح الذاتية لأصحاب الكلمة الفصل - كلها عوامل تحمل بذرة الفناء لأي نظام، وإذا ما أضفنا إليها ضيق الحلقات الحاكمة وضعف مؤهلاتها وكفاءاتها وانعدام تجربتها فإننا سنجد أنفسنا أمام مأزق لا بد أن يتيح الفرصة لمن يمتلكون مشروعا كي يجعلوه واقعا، ولا يهم حينها أن نقبله نحن أو أن نعترض عليه. ومن المصلحة الوطنية ترك الأبواب مشرعة لتبادل الأفكار عبر قنوات شرعية ودستورية، والتوقف عن التكليفات المباشرة لأفراد لا أثر في نزاهتهم، ولكنهم ليسوا أصحاب قرار كما أن بعضهم يمتلون النقيض التاريخي والعقدي للأطراف المراد التفاوض أو التفاهم معها.

جاءت الكلمات التي تناقلتها المواقع الإعلامية عن غضب الرئيس لنقض (أنصار الله - الحوثيون) تفاهمات تم الاتفاق عليها معهم لتبعث على الحيرة - إن صحت، وتستدعي تفسيرا وتوضيحا لماهيتها والهدف منها، خاصة أنها جاءت على لسان شخص التقى الرئيس مع عدد من الشخصيات اليمنية، كما أنها تظهر الحاجة إلى إعادة قراءة الأحداث الماضية بدءا من اقتحام عمران وحتى حصار صنعاء، ولا بد من استعادة بناء الصورة الحالية تأسيسا على المعطيات الواقعية ثم تشكيل الهيئات كما نصت عليها وثيقة الضمانات التي خلصت إليها لقاءات الموفنبيك والالتزام الحرفي بها وعدم الانتقائية، وبعدها يمكن الحديث والبحث عن آلية مشاركة حقيقية في الحكم لا المساومة والإغراء بعرض محاصصة وقليلية قد تستهوي البعض.

عن «الشرق الأوسط» اللندنية

الرمال السورية المتحركة

حسين العودات

من صفات الرمال المتحركة أن من «يعلق» بها أو يضع قدميه في أطرافها لا تلبث أن تبتلعه شيئا فشيئا، ويغوص أكثر فأكثر كلما زاد من حراكه، فمحاولات المنكوب بها للخروج منها وتحركه وجهوده، تزيده تورطا وتدخله إلى جوف هذه الرمال. ويبدو أن الأزمة السورية أصبحت رمالا متحركة، وأخذت تغرق كل من يلامسها، وتبتلعه كلما تحرك أكثر، وهذا ينطبق على النظام السياسي السوري وعلى المعارضة السورية والدول والتجمعات الأخرى. وعندما بدأت السلطة السورية، في بداية الانتفاضة، تستخدم العنف وتمارس القتل والتدمير بلا مسؤولية، فإنها وضعت قدميها في الرمال المتحركة وأخذت تغرق شيئا فشيئا، فيزيد عنفها وتدميرها على أمل أن تتجنب الاختناق، إلا أن هذه الممارسات كانت تقودها إلى مأزق عديدة جديدة، تكبر وتستفحل مع حراكها العشوائي.

ولم يحسب النظام أن تجاهله لآلية الرمال المتحركة هذه سيودي به (وبالبلاد والعباد)، وسيدمر معظم ما بناه الشعب السوري خلال عشرات السنين، ناهيك عن القتلى والجرحى والمعتقلين والمشردين في أصقاع العالم.. لقد أدت غفلة السلطة السورية عن رؤية ما بعد الخطوة الأولى، إلى دخول الرمال المتحركة والتسبب في كوارث هائلة، وها هي الآن غارقة في هذه الرمال وأغرقت معها البلد والشعب، وكان خيرا لها إما أن تبتعد عن الرمال المتحركة بتجنب الأوهام والرؤى الخاطئة، أو تستجيب لمطالب الناس وتحترم حقوقهم وكرامتهم. والمفارقة هي أن هذه السلطة، رغم غرقها المتزايد، لم تزل حتى الآن لا ترى أبعد من أنفها، ولا تصدق أنها تغرق!

ولا يختلف حال المعارضة السورية المسلحة كثيراً عن حال النظام، فهي بدورها تسير بلا هدى، ولا تملك إلا أن تتحرك كيفما كان، وهذا يجرها أكثر فأكثر إلى الغرق أيضا في الرمال المتحركة، فهي لا تعرف أهدافها بوضوح حتى غدت المناوشات والحروب الجزئية والمحلية هي الهدف، وتقطعت أوصالها فلم يعد من رابط تنظيمي يربط أطرافها، وبالتالي فهي تفتقر للمركزية في التخطيط وفي القيادة، كما انقطعت صلاتها بالمعارضة السياسية، وغدت تماماً مثل ذاك الذي وضع قدمه في الرمال المتحركة.

أما المعارضة السياسية فبدورها ضاقت زاوية رؤيتها حتى أصبحت بالكاد ترى، ولذلك غاصت في هذه الرمال، من خلال فقدان الرؤية الاستراتيجية ووحدة الصف، وعدم فهم السياسة الإقليمية والدولية، وانشغلت نفسها بالاجتماعات التي لا جدوى منها، والتصريحات والمناكفات بين أطرافها، والتسابق إلى إرضاء الممولين، وصار كل فصيل منها يعمل ليعترف به الآخرون خارج الحدود على أنه ممثل الشعب السوري، وأحيانا لا يقبل بأقل من الممثل الشرعي والوحيد، مع أن بعض أعضائه لم يزر سوريا منذ عقد ولم يتواصل مع فصائل المعارضة الأخرى، أو مع الناس ومع المنتفضين. وهكذا بعد أن بدأت هذه الفصائل كفصائل واعدة، بلعتها الرمال المتحركة وصار همها إنقاذ نفسها من الموت لا إنقاذ الوطن والشعب، وكلما تحركت أكثر غاصت أكثر في الرمال.

أما الدول الخارجية، وخاصة الدول الأوروبية والولايات المتحدة، فلم تحسب حساباً بدورها للرمال المتحركة، وسمعت منذ الأيام الأولى للانتفاضة السورية الرأي الإسرائيلي القائل بعدم استعجال المساعدة على إطفاء الحريق السوري، لأن المصلحة (الإسرائيلية والغربية) تقتضي أن يُترك السوريون ليدمروا بلدهم، وهذه فرصة لن تعوض للتخلص منهم، وفي ضوئها تقاعس الأميركيون والأوروبيون عن العمل الجاد لخنق الأزمة في مهدها، وتبنوا مواقف مواربة من شأنها الظهور بأنهم يعملون لحل الأزمة دون أن يحلوها، وما زالت مواقفهم كذلك، حتى خطفتهم بدورهم الرمال المتحركة، وسيطر المتطرفون والإرهابيون على الأرض وأقاموا دولة، وشعر الأوروبيون والأميركيون هذه المرة بالمخاطر والأخطاء الجسيمة، ولكن بعد فوات الفرصة وغرقهم في الرمال.

وحتى السياسة الروسية التي ناصبت الشعب السوري العداء، وهددت باستخدام الفيتو ضد إدخال المساعدات إلى المدنيين السوريين، تجرعت كأس العلقم في إرسال مساعداتها إلى الروس الأوكرانيين، ولا شك أنها الآن تحسب حساباً لجحافل الإرهاب التي لم يعد يفصلها عن القوقاز (الروسي) سوى قفزة، إذا حصلت يدرك أساطين السياسة الروسية عندها أي خطأ ارتكبوه بسبب المماطلة في حل الأزمة السورية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه.

عن «البيان» الإماراتية

خطر تنظيم «الدولة الإسلامية» يهدد لبنان

ديفيد داوود

أدى زحف تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» [«داعش»] (المعروف حالياً باسم «الدولة الإسلامية») إلى تسليط الأضواء الدولية على سوريا والعراق خاصة بعد استيلاء «داعش» على أراضي شاسعة في كلا البلدين. وبالرغم من أن لبنان لا يزال بعيداً عن الأنظار، إلا أن انتشار الطائفية وغياب الاستقرار فيه يتركانه عرضة لهذا الخطر المتنامي في المنطقة.

وكان لغياب الوحدة الوطنية نتائج كارثية على لبنان. فلم تتخطّ البلاد حتى الآن العواقب الوخيمة التي ترتبت عن الحرب الأهلية الدموية (1975 - 1990) التي استغل خلالها بعض اللاعبين الإقليميين الانقسامات الطائفية فيه من أجل مصالحهم السياسية الخاصة. فعلى سبيل المثال، دخل الجيش السوري لبنان تحت ذريعة مساعدة المسيحيين الموارنة في بادئ الأمر، فيما استغلت إيران ظاهرة تهميش الشيعة والاحتلال الإسرائيلي لتنشئ ميليشيا «حزب الله» الشيعية. وثمة احتمال كبير بأن يستغل تنظيم «داعش» فشل الدولة اللبنانية في معالجة الانقسامات الطائفية العميقة - تماماً كما فعل في العراق وسوريا.

لقد أخذت الشكاوى أو المظالم السنية بالازدياد في لبنان بسبب انخراط «حزب الله» في الحرب السورية. فضلاً عن السياسات المزدوجة المعايير التي تنتهجها الحكومة. فعلى سبيل المثال، أعرب بعض السنة عن اعتراضاتهم على "التوقيفات العشوائية" لأبناء الطائفة السنية في مدينة طرابلس الشمالية، وقد بلغ الحد بالنائب في "تيار المستقبل"، محمد كبارة، إلى القول أن "استمرار الاضطهاد الأمني للطائفة السنية سيؤدي إلى ردود فعل غير محسوبة النتائج".

ويأوي لبنان أيضاً أعداداً ضخمة من اللاجئين السوريين والفلسطينيين وغالبيتهم من الطائفة السنية. وقد عانى الفلسطينيون طويلاً من الإذلال والتهميش في ظل النظام السياسي اللبناني، ونتيجة لذلك ازدادوا تأثراً بالعقيدة الإسلاموية. فالاشتباكات التي وقعت في عام 2007 بين "الجيش اللبناني" وتنظيم "فتح الإسلام" المتفرع عن تنظيم «القاعدة» - في مخيم "نهر البارد" للاجئين الفلسطينيين، هي دليل على قدرة الحركات الإسلاموية على بسط سيطرتها في المخيمات. وعلاوة على ذلك، يُظهر الفلسطينيون عداءً أكبر تجاه «حزب الله» لأنه يحارب إلى جانب النظام السوري. ومن خلال محادثات خاصة أجريتها مع بعض الشباب الفلسطينيين الذين يتعرضون باستمرار للمضايقة من قبل «حزب الله»، تلمست شعوراً متنامياً بالكراهية تجاه الحزب الشيعي، واستياءً تجاه اللبنانيين الشيعة بشكل عام. ومن السذاجة الاعتقاد أن تنظيم «الدولة الإسلامية» لم يلاحظ هذه المواقف. ومن المؤكد أنه سيستغلها لصالحه. وقد يكون ذلك قد بدأ بالفعل.

وعلاوة على ذلك، هناك حالياً أكثر من مليون نازح سوري في لبنان. وقد أهملت الحكومة اللبنانية احتياجاتهم الأساسية، أو عاجزة عن تلبيتها. وهؤلاء أيضاً يشكلون قاعدة تجنيد لـ «الدولة الإسلامية»، لا سيما وأن بعض التقارير قد أشارت إلى أن هذا التنظيم المتطرف قرر في أوائل آب/أغسطس 2014 أن يشن هجوماً على بلدة عرسال السنية الواقعة بالقرب من الحدود اللبنانية- السورية، لأنها تأوي العديد من اللاجئين. وعلى الرغم من أن «حزب الله» تعهد بدعم "الجيش اللبناني"، بمساهمته في دحر تقدم المسلحين المنتسبين إلى تنظيمي «الدولة الإسلامية» و «جبهة النصرة» في البلدة الحدودية المذكورة، إلا أن هذا الأمر قد يفاقم التوتر الطائفي الذي سيصب في مصلحة المسلحين السنة. وفي هذا السياق، صرح قائد "الجيش اللبناني" العماد جان قهوجي أنه لو خسر الجيش معركة عرسال لتعاظم التوتر السني- الشيعي واستمر تنظيم «داعش» في زحفه وصولاً إلى الساحل لإعلان دولته.

ومن المؤكد أن الاشتباكات الخطيرة التي وقعت في عرسال لن تكون المحاولة الأخيرة لـ «الدولة الإسلامية» لدخول لبنان، وإذا ما نجحت خطوتها التالية، من المحتمل أن تصل إلى مأزق عسكري مع «حزب الله» على طول الحدود الطائفية القائمة - كما رأينا في العراق وسوريا - وفي هذه العملية، ستسيطر على بعض المعاقل السنية. وإذا ما حدث ذلك، سينقسم لبنان طائفياً، وستعود كل طائفة إلى مناطقها التقليدية للتصدي للهجوم. ومن المرجح أن يشكل ذلك نهاية مؤسفة للبنان كدولة.

ومن غير المرجح أن يرضخ ستّة لبنان وقياداتهم لتنظيم «الدولة الإسلامية» من باب الاقتناع بإيديولوجيته، إلا أن الاحتياجات العملية قد تطغى على الأيديولوجية. فالنقص في الإمدادات والذخائر قد دفع العديد من الثوار السوريين إلى تغيير ولائهم، بينما أقر آخرون أن إحباطهم في ساحة المعركة قد يدفعهم إلى الانضمام إلى «داعش». وبدافع اليأس والعنف الطائفي، من الممكن أن نشهد قريباً منحىً مماثلاً لدى بعض السنة في لبنان. وإذا واصل لبنان تهميش السنة، فسيقوم تنظيم «الدولة الإسلامية» بتكرار نهج «حزب الله» تجاه الشيعة اللبنانيين. كما سيعمل على استغلال غياب الدولة اللبنانية ويؤمّن الحماية المسلحة ومجموعة واسعة من الخدمات الاجتماعية لبعض السنة مقابل خضوعهم له تماما. وباختصار، فإن لبنان في خطر كبير من أن يصبح الضحية المقبلة لـ «الدولة الإسلامية» وما حدث في بلدة عرسال الحدودية يعتبر عيّنة عما قد ينتظر البلاد.

عن «معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى»